المنهج الاسلامي في علاج التطرف والغلو

ا. م .د صباح محمد جاسم الصميدعي

جامعة ديالى

العراق

✦ **ملخص بحث**

ان موضوع الدراسة هو (المنهج الاسلامي في علاج التطرف والغلو) , وهو اجتهاد من الباحث في كشف منهج وقواعد التعامل مع ظاهرتي الغلو والتطرف الذي تعاني منه الامة الاسلامية.

وقد اقتصرت فيه على سبل علاج التطرف والغلو , في المجتمع الاسلامي , وفق التصور الاسلامي , على شكل قواعد علمية وعملية

فالقواعد العلمية في التعامل مع الفكر المتطرف مثل الحصانة العلمية والايمانية ونقد الفكر لا نقد الذات والعلم بتفاوت أنواع الغلو ومراتبه واظهار تناقض الشبهات مع بعضها عند اهل الغلو والتطرف ولا نرد باطلا بباطل ولا نهجر حقا قال به مبطل ومقابلة كل شبهة بما يضادها من جنسها.

اما القواعد العملية في التعامل مع الفكر المتطرف فمثل معالجة الاصول والاسباب للتطرف والغلو وفتح أبواب الحوار معهم والرفق والحلم والحكمة وتكامل موقف العلماء والامراء (السلطان والقرآن) ولا يمتحن المخالف فيما لم يظهره والعدل والانصاف مع المخالف.

✦ **المقدمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وبعد ..

إن للإسلام نظرتهالكلية الشاملة للوجود والتي تنطلق من تصوره الشامل لله والكون والانسان والحياة , والعلاقة المنتظمة بين الموجودات مما خلق الله هي علاقة خالق ومخلوق , وبين الانسان والكون علاقة تسخير الكون للإنسان , وتكليف الانسان بإعمار الارض واستخلافه فيها.

وان تشريعات الاسلام جاءت منتظمة لكافة شؤون الحياة , ومحيطة بمشكلاتها ومبنية على جلب المصالح واكمالها وتعطيل المفاسد وتقليلها , اذ لا توجد مشكلة صغيرة او كبيرة الا وعلاجها في الاسلام , ولكن تقصر العقول احيانا عن معرفتها، ومنها التشريعات والتوجيهات التي يراد منها صياغة شخصية مسلمة معتدلة تتخذ من الاسلام منهجا في

الحياة , داعيا الى دين الله على بصيرة , بالحكمة والموعظة الحسنة , غايته في الحياة مرضاة الله وعمله دائبا لإقامة دين الله .

ومشكلتي الغلو والتطرف من المشكلات القديمة والمعاصرة , فقد سجلت حضورها في العصر الاول وتعامل السلف معها وفق منهج اصيل ادى الى تراجعها والتقليل من خطرها , لكنها تحمل بذور النمو من جديد في كل عصر من العصور , اذ ان مشكلتها في فهم النص القرآني والنبوي .

ونحن اذ نريد علاج ظاهرتي الغلو والتطرف ,علينا ان نقتبس من آثارهم ونتبين منهجهم في سبل التعامل مع مثل هذه الامور ونجتهد في تنزيل النصوص على الواقع سائلين الله التوفيق والهداية .

والموضوع الذي نحن بصدد دراسته هو: **(المنهج الاسلامي في علاج التطرف والغلو)** , وقد اقتصرت فيه على سبل علاج التطرف والغلو , في المجتمع الاسلامي , وفق التصور الاسلامي , ولم اتطرق الى التعريفات وغيرها من القضايا الاخرى , مكتفيا ببيان العلاج على شكل قواعد علمية وعملية على اعتبار ان(المنهج هو القواعد الأساسية التي ينطلق منها الباحث ، وهذه القواعد ضوابط تضبط عمله كله بخطواته ومراحله وتصبغ جهده كله بصبغتها)[1].

وقد تم تقسيمه الى المباحث التالية :

المبحث الاول: القواعد العلمية في التعامل مع الفكر المتطرف

القاعدة الاولى : الحصانة العلمية والايمانية

القاعدة الثانية : نقد الفكر لا نقد الذات

القاعدة الثالثة : العلم بتفاوت أنواع الغلو ومراتبه

القاعدة الرابعة: اظهار تناقض الشبهات مع بعضها عند اهل الغلو والتطرف

القاعدة الخامسة :لا نرد باطلا بباطل ولا نهجر حقا قال به مبطل

القاعدة السادسة: مقابلة كل شبهة بما يضادها من جنسها

المبحث الثاني: القواعد العملية في التعامل مع الفكر المتطرف

القاعدة الاولى : معالجة الاصول والاسباب للتطرف والغلو

القاعدة الثانية : فتح أبواب الحوار معهم .

القاعدة الثالثة : الرفق والحلم والحكمة

القاعدة الرابعة : تكامل موقف العلماء والامراء (السلطان والقرآن)

القاعدة الخامسة : لا يمتحن المخالف فيما لم يظهره

القاعدة السادسة : العدل والانصاف مع المخالف

---

1)التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص60-61 ، دار النفائس ، عمان ، ط1 ، 1997.

ثم الخاتمة واهم النتائج ثم المصادر والمراجع

وصل الله على خاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول: القواعد العلمية في التعامل مع الفكر المتطرف

القاعدة الاولى : الحصانة العلمية والايمانية

ان الامراض التي تصيب القلب امراض شبهات وشهوات وهي المداخل التي يدخل منها الشيطان لإغواء الانسان , وان سبيل علاج الشبهات هو العلم وسبيل علاج الشهوات هو الايمان .

وان من القواعد المهمة في مواجهة التطرف ان من يتصدى لهذا الفكر ينبغي ان يكون ذو حصيلة علمية يستطيع من خلالها دحر الشبهات التي يعتمدون عليها في اقامة فكرهم , وان معرفة الحق والعمل به هي اولى الخطوات والقواعد التي اذا اتقنها المسلم صارت عنده ملكة التمييز بين الحق والباطل , فلا تمر الشبهات او تنطلي عليه .

ان الهدف من الحصانة الفكرية هو سلامة فكر المسلم لغاية الاصلاح والعمارة في الارض والعبادة والتحصين الفكري واجب شرعي قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: قوا أنفسكم وأهليكم نارا يقول: أدبوهم وعلموهم [1]

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلئم بها في طريقه .[2]

ويكون التعامل مع الشبهات الفكرية بمنهج الرسوخ من العلم اذ " ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة هذا لضعف علمه وقلة بصيرته إذا وردت على قلبه ادنى شبهة قدحت فيه الشك والريب بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد امواج البحر ما ازالت يقينه ولا قدحت فيه شكا لانه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة فان تداركها والا تتابعت على قلبه امثالها حتى يصير شاكا مرتابا والقلب يتوارده جيشان من الباطل جيش شهوات الغي وجيش شبهات الباطل فأيما قلب صغا اليها وركن اليها تشربها وامتلأ بها فينضح لسانه وجوارحه بموجبها فإن اشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والايرادات فيظن الجاهل ان ذلك لسعة علمه وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه .[3]

---

1 تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)المحقق: أحمد محمد شاكرالناشر: مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م, (23/ 491)

2 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 457)

3مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) : دار الكتب العلمية - بيروت (1/ 140)

وقد حفظ ابن القيم وصية معلمه في التعامل مع الشبهات :" لا تجعل قلبك للايرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح الا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فاذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرا للشبهات ".[1]

فالمسلم المتبع للحق والعامل به , لا يخشى عليه من الشبهات , فهو باتباعه للدليل ان عرضت له شبهة وتأثر بها , لا يزال يبحث عن الحق فتنكشف له تلك الشبهة فيتركها , اما صاحب المنهج الإمعي فهو بلا قواعد ثابتة او خطى واضحة , يتبع الهوى فيضل .

القاعدة الثانية : نقد الافكار لا نقد الذوات

ان التعرية للشبهات الباطلة ينبغي ان تسلط على الفكر المنحرف لا على الشخص الحامل لهذا الفكر , وهذا هو الاصل ويستثنى منه من كان داعيا لشبهاته مجاهرا بها , وليس من سبيل الى ازالة هذه الشبهات الا بتعرية الشخص , وكشف عيوبه ليسقط من عيون من تأثر به .

قَالَ تعالى:{ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ }[2] , إني بريء من أعمالكم لا بريء منكم. [3]

قال السعدي : (قال الله لرسوله: {فَإِنْ عَصَوْكَ} في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع احتراز وهم من يتوهم، أن قوله {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم)[4].

ومن الاحاديث النبوية التي اصلت هذا المنهج نختار ثلاثة نماذج تدل على هذا الاصل وهي :

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: قال: «قال النبيُّ – ρ–: ما بالُ أقوام يرفعونَ أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فاشتدَّ قوله في ذلك، حتى قال: لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك، أو لتُخطَفَنَّ أبصارُهم»[5] .

وَعَن أنس: (أَن نَفرا من أَصْحَاب رَسُول الله ρ سَأَلُوا أَزوَاج النَّبِي ρ عَن عمله فِي السِّرّ؟ فَقَالَ بَعضهم: لَا أَتزوّج النِّسَاء، وَقَالَ بَعضهم: لَا آكل اللَّحْم، وَقَالَ بَعضهم: لَا أَنَام عَلَى فرَاش، فَحَمدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَال أَقوام قَالُوا

---

[1] مفتاح دار السعادة (1/ 140)

(2) سورة الشعراء: آية 216

(3) حقائق التفسير: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري السلمي , (المتوفى: 412هـ) التحقيق: سيد عمران , دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت الطبعة: 1421هـ – 2001م , 2/ 82

(4) تفسير السعدي ص: 599

(5) رواه البخاري 2 / 193 في صفة الصلاة، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، وأبو داود رقم (913) في الصلاة، باب النظر في الصلاة، والنسائي 3 / 7 في السهو، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

كَذَا وَكَذَا، لكني أُصَلِّي وأنام، وَأَصُوم وَأُفْطر، وأتزوج النِّسَاء، فَمن رغب عَن سنتي فَلَيْسَ مني)[1].

وفي الحديث ايضا :(ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له وان اشترط مئة شرط)[2].

قال ابن حجر رحمه الله وهو يستخرج فائدة من حديث المقبورين وهم يعذبان : (لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما والظاهر أن ذلك كان على عمد من الرواة لقصد الستر عليهما وهو عمل مستحسن وينبغي أن لا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به) [3]

فالناظر في هديه ρ يستطيع أن يستخرج قاعدة كلية وهي أن الأصل في التعامل مع الأفراد المخالفين هو ترك بيان اسمه ، الا نادرا وهذا ظاهر بيّن في منهج القرآن حين لم يذكر أسماء المشركين في مكة ، ولا أسماء المنافقين في المدينة ؛ كما جعل ρ أسماء المنافقين سراً عند بعض أصحابه رغم شدة خطرهم. [4]

وقال الشيخ بكر ابو زيد : (الاصل هو الستر والعمل على دفع دواعي الفرقة والوحشة وعدم الموافقة , فالرد ينصب على المقالة المخالفة المذمومة لا على قائلها).[5]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا ان الاسلام يراعي في تعامله مع الاخرين احوالهم النفسية , فيحرص على ان يستميلهم الى الحق , ويبعدهم عن الباطل , فيكتفي بالبيان العام للحق وللباطل دون تسمية اهل الباطل , حرصا ان لا يفتح ثغرة للشيطان يدخل بها الى النفس فتأخذها العزة بالإثم , فتعاند وتجادل وتتعصب للباطل .

القاعدة الثالثة : العلم بتفاوت أنواع الغلو ومراتبه

ان العلم بتفاوت الشبهات واختلافها ضروري لمعرفة طريقة التعامل معها , فهي تتنوع بحسب مجالها , فهنالك شبهات تتعلق بالعقائد واخرى تتعلق بالتشريع , ومنها ما يتعلق بالأخلاق او المعاملات .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (إن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات : منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة)[6]

ويرى الشاطبي رحمه الله ان : (كل بدعة كبيرة عظيمة بالإضافة إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع، إلا أنها وإن عظمت لما ذكرناه، فإذا نسب بعضها إلى بعض تفاوتت رتبتها فيكون منها صغار وكبار، إما باعتبار أن بعضها أشد عقابا

---

(1) البخاري (1952/5) (4786) ، ومسلم (1020/2) (1402) ، وأحمد (176/1، 183)

(2) أخرجه الحيمدي (241) قال: حدثنا سفيان. و"أحمد" 135/6. و"البخاري" 123/1 و259/3

(3) فتح الباري لابن حجر 1/ 320

(4) ينظر : الدكتور سليمان بن عبدالله بن ناصر الماجد البريد الشبكي : samaged@hotmail.com

(5) الرد على المخالف من اصول الاسلام . الدكتور بكر ابو زيد ص60.

(6) مجموع الفتاوى : 3 /348

من بعض، فالأشد عقابا أكبر مما دونه، وإما باعتبار فوت المطلوب في المفسدة، فكما انقسمت الطاعة باتباع السنة إلى الفاضل والأفضل، لانقسام مصالحها إلى الكامل والأكمل، انقسمت البدع لانقسام مفاسدها إلى الرذل والأرذل، والصغر والكبر، من باب النسب والإضافات، فقد يكون الشيء كبيرا في نفسه لكنه صغير بالنسبة إلى ما هو أكبر منه).[1]

وبعد معرفة ان الشبهات انواع متفاوتة , ينبغي ان نعلم ان اهلها متفاوتون في احوالهم ، أي أن أحوالهم ليست حالاً واحداً , (ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطناً وظاهراً ، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق ، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً ، وقد يكون مخطئاً متأولاً مغفوراً له خطأه ، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه)[2]

وبما أن الشبهات متفاوتة في درجاتها وكذلك أهلها متفاوتون في أحوال تلبسهم بها، لذا لزم أن لا يكون التعامل معهم على طريقة واحدة . وإنما يقتضي العدل تحديد درجة المخالفة ونوعها، ثم التعامل مع صاحبها بحسب مقتضاها مع حضور التقوى والعدل .

يقول شيخ الإسلام : (وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا)[3]

ويقول في معرض المفاضلة بين درجات المخالفين مميزا بين الكفار وبعض مبتدعة المسلمين : (وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين .. إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين ، وهو خير من أن يكونوا كفاراً .)[4]

وقد عقد الشاطبي رحمه الله فصلا بعنوان [إثم المبتدعين ليس على رتبة واحدة] قال فيه بخصوص تفاوت اهل البدع في الرتبة : (إذا ثبت أن المبتدع آثم; فليس الواقع عليه على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة، واختلافها يقع من جهات بحسب النظر الفقهي، فيختلف من جهة كون صاحبها مدعيا للاجتهاد أو مقلدا، ومن جهة وقوعها في الضروريات أو غيرها، ومن جهة كون صاحبها مستترا بها أو معلنا، ومن جهة كونه مع الدعاء إليها خارجا على غيره أو غير خارج، ومن جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية، ومن جهة كونها بينة أو مشكلة، ومن جهة كونها كفرا أو

---

(1) الاعتصام للشاطبي ص: 545

(2) مجموع الفتاوى : 3 /353-354

(3) مجموع الفتاوى : 28/ 209

(4) مجموع الفتاوى : 13/ 96

غير كفر، ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه، إلى غير ذلك من الوجوه التي يقطع معها بالتفاوت في عظم الإثم وعدمه أو يغلب على الظن).[1]

وثمرة هذا التمييز بين أنواع الشبهات وتفاوت درجاتها , واختلاف اهلها , هو الوصول الى نتيجة مهمة , وهي اختلاف طرق التعامل معها ومع اهلها بقدر حجم الشبهة ونوعها .

القاعدة الرابعة : اظهار تناقض الشبهات مع بعضها عند اهل الغلو والتطرف

ان اظهار تناقض اهل الباطل مع بعضهم , لهو وسيلة ناجعة لردهم , فهو ينقل المعركة الفكرية معهم من الدفاع الى الهجوم , فبدل ان يبحث صاحب الحق في الرد على الشبهة , تجعل اهل الباطل يرد بعضهم على بعض , لينصر كل مذهبه .

وهذا ليس من باب رد الباطل بالباطل , فالباطل لا يرد الا بالحق , ومن الحق اظهار عيوب المذاهب الفكرية الباطلة , وما تحمله من شبهات تشتبه على العقول فترديها .

وقد ذكر القرآن تناقض اهل الباطل مع بعضهم{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } [2], يبين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم.

وهذا القول يقتضي أن كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى. ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه، مع علمهم بخلاف ذلك؛ ولهذا قال تعالى{ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } أي: وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل، كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، ولكن تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا, ومقابلة للفاسد بالفاسد .

وقوله تعالى: { كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } يبين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا من القول، وهذا من باب الإيماء والإشارة.[3]

ومن الايات التي تدل على اختلاف ما كان مصدره بشريا تنتجه عقول البشر واهوائهم قوله {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[4] , اي أن (الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض)[5]

---

(1) الاعتصام للشاطبي ص: 216

(2) سورة البقرة: آية ١١٣ – ١١٤

(3) تفسير ابن كثير 1/ 386

(4) النساء: ٨٢

(5) تفسير الطبري 8/ 567

ويقول ابن كثير عنها : (أي لو كان مفتعلا مختلقا، كما يقوله من يقول من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا، أي اضطرابا وتضادا كثيرا، أي وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله)[1]

وقال السعدي رحمه الله وهو يعدد فوائد التدبر لكتاب الله : (ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور).[2]

يقول صاحب الظلال : " والتناسق المطلق الشامل الكامل هو الظاهرة التي لا يخطئها من يتدبر هذا القرآن أبداً.. ومن ثم فإن كل أحد، وكل جيل، مخاطب بهذه الآية. ومستطيع- عند التدبر وفق منهج مستقيم- أن يدرك من هذه الظاهرة- ظاهرة عدم الاختلاف، أو ظاهرة التناسق- ما تهيئه له قدرته وثقافته وتجربته وتقواه.".[3]

ومن خلال ما سبق , يظهر لنا ان مقابلة الباطل بالباطل , واظهار تناقضها مع بعضها , هي احدى القواعد والاساليب التي يمكن استخدامها مع الشبهات الفكرية المعاصرة , التي يثيرها اهل النفاق والباطل .

القاعدة الخامسة : لا نرد باطلا بباطل ولا نهجر حقا قال به مبطل

ان من القواعد التي يقررها القرآن في مواجهة اهل الباطل , ان الطريق الى دحض الباطل هي مقابلته بالحق , فلا يقابل الباطل بباطل مثله , ففي الحق كفاية , وله من الحجج ما يدحض به شبهات المبطلين .

{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا }[4] , أي: ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم.[5]

وفي فتح القدير : أي : لا يأتيك. – يا محمد- المشركون بمثل من أمثالهم التي من جملتها اقتراحاتهم المتعنتة إلا جئناك في مقابلة مثلهم بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاءوا به من المثل ويدمغه ويدفعه. فالمراد بالمثل هنا: السؤال والاقتراح، وبالحق جوابه الذي يقطع ذريعته، ويبطل شبهته، ويحسم مادته.[6]

وقد سئل الإمام علي τ: عن الخوارج الذين كفروه، فقيل له: هل كفروا؟ قال: ((من الكفر فروا. لذلك نقل الخطابي

---

(1) تفسير ابن كثير 2/ 322 . وينظر: فتح القدير . 1/ 491

(2) تفسير السعدي ص: 190

(3) في ظلال القرآن 2/ 721

(4) الفرقان: 33

(5) تفسير ابن كثير 6/ 109

(6) فتح القدير للشوكاني 4/ 86

الإجماع على أنهم من المسلمين، وذكر نحوه أبن بطال))[1].

قال تعالى : {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[2] , يخبر تعالى، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كل باطل قيل وجودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه، فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه {فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} أي: مضمحل، فانٍ، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل، شبهة، عقلية ولا نقلية، في إحقاق باطل، أو رد حق، إلا وفي أدلة الله، من القواطع العقلية والنقلية، ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد.[3]

ومما اصل له العلماء في قضية ان الباطل لا يقابل بالباطل قول ابن تيمية رحمه الله : (وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله؛ بل ولو استكرهه رجل على اللواطة لم يكن له أن يستكرهه على ذلك، ولو قتله بتجريع خمر أو تلوّط به، لم يجز قتله بمثل ذلك، لأنَّ هذا حرام لحق الله تعالى، ولو سبَّ النصارى نبينا، لم يكن لنا أن نسبَّ المسيح) [4]

ويمكن الاستشهاد لهذا الامر بالاتي :

(كانت لعبد الرحمن بن مهدي جاريةٌ، فطلبها منه رجل؛ فكان منه شبه العدة، فلما عاد إليه؛ قيل لعبد الرحمن: يا أبا سعيد! هذا صاحب الخصومات! فقال له عبد الرحمن: بلغني أنك تخاصم في الدين! فقال: يا أبا سعيد! إنا نضع عليهم لنحاجهم بها. فقال له عبد الرحمن: أتدفع الباطل بالباطل؟! إنما تدفع كلاماً بكلام، قم عني، والله، لا بعتك جاريتي أبداً)[5]

وان الشبهات كما هو معلوم الباس الباطل لباس الحق , فيكون فيها حقا وباطلا , ولو كانت باطلا محضا او حقا محضا لعرفها الناس .

ومنهج الاسلام ان الحق المتداخل مع الشبهة لا يترك بل يقر الحق ويبطل الباطل ؛قال ابن تيمية : (الذي عليه أئمه الإسلام: أنَّ ما كان مشروعاً لم يُترك لمجرد فعل أهل البدع)[6]

ويقول شيخ الاسلام مقررا قاعدة ان الحق المتداخل مع الشبهة يقرر :

---

(1) التطرف الديني، د. قحطان عبد الرحمن الدوري: ص49.

(2) سورة الأنبياء: آية ١٨

(3) تفسير السعدي ص: 520

(4) منهاج السنة النبوية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس . تحقيق: د. محمد رشاد سالم الناشر: مؤسسة قرطبة . الطبعة الأولى، 1406 5/ 244

(5) ذم الكلام وأهله للهروي , أبو إسماعيل الهروي (481 هـ) المحقق: أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري : مكتبة الغرباء الأثرية , الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م , 4/ 225.

(6) منهاج السنة النبوية : 4/ 149

(والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق ، ولا نقول عليه إلا بعلم ، وأمرنا بالعدل والقسط ، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني.. قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله ، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق)[1]

وقد انكر على الغزالي بعض معاصريه ايراده بعض المقتبسات من كتب الفلسفة فقال: (والعارف العاقل يعرف الحق، ثم ينظر في نفس القول: فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقاً، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من تضاعيف كلام أهل الضلال , وهب أنها لم توجد إلا في كتبهم، فإذا كان ذلك الكلام معقولاً في نفسه، مؤيداً بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة، فلم ينبغي أن يهجر ويترك؟! فلو فتحنا هذا الباب، وتطرقنا إلى أن يهجر كل حق سبق إليه خاطر مبطل، للزمنا أن نهجر كثيراً من الحق، ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلّم وحكايات السلف، وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب إخوان الصفا أوردها في كتابه مستشهداً بها ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطل، ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بإيداعهم إياه كتبهم. وهذا وهم باطل، وهو غالب على أكثر الخلق , فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم، قبلوه وإن كان باطلاً، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقاً، فأبداً يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق، وهو غاية الضلال)[2]

ومما يمكن الاستشهاد به من الاحاديث ما جاء عن ابن عباس قال : « قدم النبي – ρ– المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»[3]

وقول النبي ρ لأبي هريرة عن الجني الخبيث الذي جاء إلي مال الصدقة يحثو منه فأمسكه بيده، وقال له: لأدفعنك إلي رسول الله ρ ، فقال: دعني فإن لي عيال أطعمهم، فقال: لأبي هريرة: دعني، وأعلمك آية من كتاب الله إذا قرأتها لا يزال عليك من الله حفيظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فجاء إلي رسول الله ρ ، وأخبره بالقصة كاملة، فقال: (أما أنه صدقك وهو كذوب، ذاك الشيطان) [4]

القاعدة السادسة : مقابلة كل شبهة بما يضادها من جنسها

ان من القواعد التي رسمها القران الكريم لتكون منهجا يتخذه المسلمون في مجابهة اهل الباطل , هو مجابهة اهل الباطل والشبهات , بما يضادها من جنسها ويبطلها ,فمواجهة الفكر تكون بالفكر والعمل بالعمل

(1) ينظر :منهاج السنة : 2/ 342

(2) المنقذ من الضلال ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود دار الكتب الحديثة، مصر ,ص5453.

(3) البخاري (669/2، 1637/4) ، ومسلم (792/2، 793) (1126) ، وأحمد (57/2، 143)

(4). (البخاري: 2311)

ومن امثلة ذلك معجزات الانبياء التي جعلها الله عز وجل آيات وبراهين لتاييد الانبياء على اقوامهم , واثبات نبوتهم وصدقهم , فمعجزة كل نبي كانت من جنس ما اشتهر به قومه .

فقد اشتهر قوم موسى بالسحر , فكانت الاية والبرهان تحول العصا الى افعى تاكل عصيهم .وكانت معجزة عيسى اشتهار قومه بالطب , فكانت المعجزة ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله .

واشتهر العرب بالفصاحة والبلاغة والشعر فكانت معجزة النبي ε الخالدة هي القران الكريم , الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن امثلة مقابلة الشبهة بمثلها من الحجج , ما حكاه القران من محاجة الحجة العقلية بمثلها قوله تعالى في محاجة ابراهيم عليه السلام للنمرود : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[1]

ولما اثار ابو العلاء المعري شبهة حول الاعتراض على التشريع القراني في قطع يد السارق , وصاغها في بيتين من الشعر المسبوك , لتنطلي على السامع , اذ تلتبس الشبهة بحلاوة الشعر , انبرى له عالم من علماء بغداد وهو الفقيه عبد الوهاب المالكي , بشعر ازال الشبهة وبين الحكمة , باجمل ما يكون , حيث قال المعري :

يد بخمس مىء من عسجد وديت... ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ما لنا الا السكوت له... ونستجير بمولانا من العار

فأجابه بعض الفقهاء وهو عبد الوهاب المالكي بأنها كانت ثمينة لما كانت أمينة فلما خانت هانت وضمنه قوله:

يد بخمس مىء من عسجد وديت... لكنها قطعت في ربع دينار

حماية الدم أغلاها وأرخصها... خيانة المال فانظر حكمة الباري

وروى أن الشافعي رحمه الله أجاب بقوله:

هناك مظلومة غالت بقيمتها... وههنا ظلمت هانت على الباري

وأجاب شمس الدين الكردي بقوله:

قل لمعري عار أيما عار... جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لا تقدحن زناد الشعر عن حكم... شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهب... فإن تعدت فلا تسوى بدينار[2]

قول القاضي أمين الدين الطرابلسي :

---

(1) سورة البقرة آية : (258)

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين – (2 / 90) . وينظر: البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي , دار هجر,ط1، 1418 هـ – 1997 م , 15/ 746

إنْ كان شَرْعُ هواكَ أطْلَقَ مَدْمَعِي . . . فوكيلُ شَوْقِي عاجزٌ عن حَبْسِهِ
أو كان منك الطَّرْفُ أسْهَرَ ناظِرِي . . . فلكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ من جِنْسِهِ[1]

وقال الحسن بن رشيق الأزدي:

و لكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد[2]

ومن جميل الردود ما قام به اياس بن معاوية مع رجل يثير شبهة حول بعض التشريعات حيث : جاء رجل الى القاضي اياس ابن معاوية المزني فقال له : لو اكلت التمر تضربني ؟ قال : لا , فقال : لو شربت قدرا من الماء تضربني ؟ قال : لا , فقال : شراب التمر (النبيذ) اخلاط منها , فكيف يكون حراما ؟

قال اياس : لو رميتك بالتراب ايوجع ؟ فقال : لا . قال: لو ضببت عليك قدرا من الماء , اينكسر منك عضو ؟ فقال: لا . قال: لو صنعت من الماء والتراب طوبا فجف في الشمس فضربت به راسك كيف يكون ؟ فقال : ينكسر الراس . قال اياس : ذاك مثل هذا.[3]

المبحث الثاني: القواعد العملية في التعامل مع الفكر المتطرف

القاعدة الاولى : معالجة الاصول والاسباب للتطرف والغلو

ان معرفة الاسباب الحقيقية للتطرف والغلو والغور الى جذورها له اهمية بالغة , لكي يتم وضع الدواء بعد تشخيص الداء , ولكي نعالج اصل المرض بدل ان نعالج اعراضه , فعلاجه من اصله يؤدي الى زواله , وعلاج اعراضه بمثابة المسكنات التي سرعان ما تنتهي ويعود الى ما كان , ولذلك كان التركيز على الاصل هو سياسة النبي ρ التربوية في دعوته الى الاسلام .

فالنبي ρ لم يهدم الاصنام التي كان يعبدها المشركون على الارض الا بعد ان هدمها في قلوبهم , فتكاملت عملية الهدم والبناء الإيماني , فصاروا يهدمون الاصنام بأيديهم بعد ان كانوا يدافعون عنها بسيوفهم .

إن أسباب نشأة هذا الفكر متعددة ومتنوعة ، فقد يكون مرجع هذا الفكر أسبابًا فكرية أو نفسية أو سياسية أو اجتماعية أو يكون الباعث عليه دوافع اقتصادية وتربوية . . إلخ . وبالنظرة الشاملة المتوازنة نستطيع أن نجزم بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة ، ولهذا لا ينبغي أن نقف عند سبب واحد ، فالظاهرة التي أمامنا ظاهرة مركبة معقدة وأسبابها كثيرة

---

(1) . نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة : محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي . دار الكتب العلمية – بيروت – 1426هـ –2005 م , ط1, تحقيق : أحمد عناية – (3 / 266)

(2) . أرشيف ملتقى أهل الحديث – 3 – (79 / 155) رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com

(3) . طرائف ونوادر من عيون التراث العربي . دار النفائس . بيروت . 1987 . ص46. عن كتاب : في قفص الاتهام للدكتور علي الحمادي . دار ابن حزم . ط1 (1420هـ . 1999م) . ص47.

ومتداخلة .[1]

يقول الشيخ القرضاوي : (أصحاب النظرة الشاملة المتوازنة يعترفون بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة وكلها تعمل بأقدار متفاوتة مؤثرة آثاراً مختلفة قد يقوى أثرها في شخص ويضعف في آخر ولكنها جميعاً لها في النهاية أثرها الذي لا يجحد . فلا ينبغي لنا أن نقف عند سبب واحد يبرز أمامنا ويطغى على غيره من الأسباب فالواقع أن الظاهرة التي بين أيدينا ظاهرة مركبة معقدة وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة بعضها قريب وبعضها بعيد وبعضها مباشر وبعضها غير مباشر ماثل للعين طاف على السطح وبعضها غائص في الأعماق من هذه الأسباب ما هو ديني وما هو سياسي منها ما هو اجتماعي وما هو اقتصادي ومنها ما هو نفسي ما هو فكري وما هو خليط من هذا كله أو بعضه قد يكمن سبب هذه الظاهرة والسبب بعضه عن البحث داخل أسرته عند أبويه وأخوته وعلاقاتهم بعضهم ببعض ولا ريب إن من الأسباب الأساس لهذا الغلو هو ضعف البصيرة بحقيقة الدين وقلة البضاعة في فقهه والتعمق في أسراره والوصول إلى فهم مقاصده واستشفاف روحه)[2]

ومن خلال الرؤية الشاملة وتشخيص الاسباب يسهل تشخيص الدواء والقدر الذي ينبغي منه , ومراعاة التدرج في اعطائه , والوصول الى نتائجه وآثاره .

القاعدة الثانية : فتح أبواب الحوار معهم .

إن من الحلول التي قدمها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو محاورة أهل التطرف والانحراف فقد قال تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ][3].

والجدال بالتي هي أحسن، يعني: الحوار مع المخالفين بأحسن الطرق، وأرق الأساليب، التي تقربهم ولا تبعدهم[4].

وتعلم منه أصحابه، رضوان الله عليهم أجمعين، فقد حاور الإمام علي τالخوارج[5]، وابن عباس τ أيضاً , وأسلوب المحاورة ناجح إذ رجع مع أبن عباس أناس كثير لدينهم بعد محاورتهم ورد شبهاتهم. وذلك أن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما خرجت الحرورية ، اعتزلوا في دار ، وكانوا ستة آلاف ، فقلت لعلي : يا أمير المؤمنين ، أبرد بالصلاة ، لعلي أكلم هؤلاء القوم ، قال: إني أخافهم عليك ، قلت: كلا ، قال: فخرجت إليهم ، ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، ومضيت إليهم ، حتى دخلت عليهم في دار وهم مجتمعون فيها ، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس ،

---

(1) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف (ص: 7)

(2) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، د. يوسف القرضاوي، أنوار دجلة ، ط12 ، 2004 ، ص 50 ، 51

(3) سورة النحل: الآية 125.

(4) الصحوة الإسلامية بين المراهقة إلى الرشد، ص277.

(5) ينظر ما أخرجه أحمد: (342/1)، والبيهقي في السنن الكبرى (179/8).

فما هذه الحلة ؟ قلت : ما تعيبون علي ، لقد رأيت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن ما يكون من الحلل ، وقرأت: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ }[1]

فقالوا: ما جاء بك ؟ قلت: أتيتكم من عند أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – المهاجرين والأنصار ، من عند ابن عم النبي – صلى الله عليه وسلم – وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعرف بتأويله منكم ، جئت لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون ، فانتحى لي نفر منهم ، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وابن عمه ، وختنه ، وأول من آمن به .

قالوا: ثلاث ، قلت: ما هي؟ قالوا: إحداهن أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ }[2], قلت: هذه واحدة ، قالوا: وأما الثانية ، فإنه قاتل ولم يسب ، ولم يغنم ، فإن كانوا كفارا فقد حلت لنا نساؤهم وأموالهم ، وإن كانوا مؤمنين فقد حرمت علينا دماؤهم . قلت: هذه أخرى . قالوا: وأما الثالثة فإنه محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه يكون أمير الكافرين ، قلت هل عندكم غير هذا ؟ قالوا: حسبنا هذا .

قلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ، وحدثتكم من سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ما يرد قولكم هذا ، ترجعون؟ قالوا: اللهم نعم . قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله ، فأنا أقرأ عليكم أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في أرنب ، ثمنها ربع درهم ، قال تعالى: { لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ }[3] ، وقال في المرأة وزوجها: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا }[4] ، أنشدكم الله ، أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم ، وإصلاح ذات بينهم أحق ، أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم ، وإصلاح ذات بينهم . قلت: أخرجت من هذه ؟ قالوا: اللهم نعم ، قلت: وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم عائشة ، فتستحلون منها ما تستحلون من غيرها ، وهي أمكم ، لئن فعلتم لقد كفرتم ، فإن قلتم: ليست أمنا ، فقد كفرتم ، قال الله تعالى: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }[5] ، فأنتم بين ضلالتين ، فأتوا منهما بمخرج ، أخرجت من هذه الأخرى ؟ قالوا: اللهم نعم ، قلت: وأما قولكم: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا ، فقال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله ، فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني . يا علي ، اكتب محمد بن عبد الله ، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه

---

(1) الأعراف / 32 .

(2) الأنعام / 57 يوسف / 67

(3) المائدة / 95 .

(4) النساء / 35 .

(5) الأحزاب / 6 .

ذلك محوا من النبوة ، أخرجت من هذه الأخرى ؟ قالوا: اللهم نعم .

فرجع منهم ألفان ، وبقي سائرهم ، فقتلوا على ضلالتهم ، قتلهم المهاجرون والأنصار.[1]

وقد عاملهم علي رضي الله عنه بأربعة أمور: أولا: الحوار معهم لردهم إلى الحق , ثانيا: مقاتلة من قاتل منهم ,ثالثا: اليقظة والحذر منهم , رابعا: الترك لهم ما لم يظهروا بدعتهم .

ويشترط في ذلك عدة أمور:

1 – أن يكون في محلهم ، وليس أمام عامة المسلمين ، حتى لا يتأثر العامة بشبههم .

2 – أن يكون المحاور لهم عالما بالدين .

3 – أن يكون مقبولا لديهم .

4 – أن يجادلهم بالتي هي أحسن .[2]

القاعدة الثالثة : الرفق والحلم والحكمة

جاء في في كتاب الجرح والتعديل للقاسمي رحمه الله العنوان (ثَمْرَةُ الرِّفْقِ بِالمُخَالِفِينَ) وفيه :

قال بعض علماء الاجتماع: يختلف فكر عن آخر باختلاف المنشأ والعادة والعلم والغاية، وهذا الاختلاف طبيعي في الناس، وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا، ومن عادة صاحب كل فكر أن يحب تكثير سواد القائلين بفكره، ويعتقد أنه يعمل صَالِحًا وَيُسْدِي معروفًا وينقذ من جهالة وَيَزَعُ عن ضلالة، ومن العدل أن لا يكون الاختلاف دَاعِيًا للتنافر مادام صاحب الفكر يعتقد ما يدعو إليه، ولو كان على خطأ في غيره، لأن الاعتقاد في شيء أثر الإخلاص، والمخلص في فكر ما إذا أخلص فيه يناقش بالحسنى؛ ليتغلب عليه بالبرهان، لا بالطعن وإغلاظ القول وهجر الكلام، وما ضر صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافقه على فكره ريثما يهتدي إلى ما يراه صَوَابًا، ويراه غيره خطأً، أو يقرب منه، وفي ذلك من امتثال الأوامر الرَبَّانِيَةِ، والفوائد الاجتماعية ما لا يحصى، فإن أهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة إلا إذا قَلَّ تَعَادِيهُمْ، واتفقت على الخير كلمتهم، وتناصفوا وتعاطفوا، فكيف تريد مني أن أكون شريكك، ولا تعاملني معاملة الكفؤ على قدم المساواة؟

دع مخالفك – إن كنت تحب الحق – يُصَرِّحُ بما يعتقد، فإما أن يقنعك وإما أن تقنعه، ولا تعامله بالقسر، فما قط انتشر فكر بالعنف، أو تفاهم قوم بالطيش والرعونة، من خرج في معاملة مخالفه عن حد التي هي أحسن، يحرجه فيخرجه عن الأدب ويحوجه إليه، لأن ذلك من طبع البشر مهما تثقفت أخلاقهم وعلت في الآداب مراتبهم.

---

(1) المستدرك (4 / 202) ، حديث: 7386 ، والسنن الكبرى (5 / 165) ، حديث: 8575 ، قال ابن حجر: وإسناده صحيح الدراية في تخريج أحاديث الهداية (2 / 138) ، وانظر نصب الراية (3 / 461) .

(2) التطرف في الدين: محمد بن عبد الرزاق الطبطبائي:موقع الإسلامhttp://www.al-islam.com, ص: 25

وَبَعْدُ فإن اختلاف الآراء من سنن هذا الكون، هو من أهم العوامل في رُقِيّ البشر، والأدب مع من يقول فكره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع، والتعادي على المنازع الدينية وغيرهامن شأن الجاهلين لا العالمين، والمهوسين لا المعتدلين[1]

إذ أن الله سبحانه وتعالى يحب الرفق في كل شيء، وهذا واضح في قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكيف خاطبوا أقوامهم بالحسنى ,وأن العنف لم ينجح في معالجة التطرف لما فيه من القهر والقوة على النفوس، وأن النفوس تأبى ذلك ,وقد حذر الرسول ρ من استخدام أسلوب العنف في الدعوة والمعاملة. فقد روي عن السيدة عائشة (رضي الله عنها)، أنه قال: ((أن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه))[2].

وعنها أيضاً، عن النبي ρ: ((أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شأنه))[3].

وقد ثبت أن ما تلجأ اليه السلطات من استخدام العنف والتعذيب البدني والنفسي داخل السجون والمعتقلات، مثل السجن الحربي في مصر وغيره عما وقع في سنة 1954م، وسنة 1965م. وما وقع فيها من صنوف التنكيل والتعذيب. أنه ولد التطرف وخلقه، وفي داخل هذه السجون نبتت فكرة (التكفير) ووجدت في جوه اللاهب عاملاً مساعداً على الاستجابة له[4].

ومن داخل السجون انطلقت وانتشرت موجة تكفير الناس بالجملة، وتفرعت عن هذه الفكرة الأساسية أفكار فرعية متطرفة أخرى. أنها سنة الحياة المشاهدة المجربة: أن العنف لا يولد إلا عنفاً، وشدة الضغط لا يكون من ورائها إلا الانفجار[5].

القاعدة الرابعة : تكامل دور العلماء والامراء (السلطان والقرآن)

ان التكامل بين السلطان والقرآن هو السبيل للقوة والعزة والتمكين , وان أي افتراق بينهما يؤدي الى الضعف والهزيمة , والدين لا يقوم الا بهما كما قالوا : (وَلِهَذَا كَانَ قوام الدّين بِكِتَاب يهدي وَسيف ينصر وَكفى بِرَبّك هاديا ونصيرا)[6]

---

(1) الجرح والتعديل : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ) , مؤسسة الرسالة (1399 هـ - 1979 م), (ص: 37)

(2) مسلم : 2593

(3) مسلم : 2594

(4) الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص 126.

(5) الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص 127.

(6) التحفة العراقية في الأعمال القلبية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ) المطبعة السلفية , القاهرة ,ط2، 1399 ,ص: 40

قال الإمام الغزاليّ– رحمه الله–: "والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه".[1]

ولهذا جاء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، أي: إن كثيراً من الناس لا تؤثر فيه القوارع والزواجر بالقرآن ولا تحرك به لهم ساكناً، ولكنه الخوف من العصا والسوط والأدب .[2]

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) [3]، فذكر الله هاتين القوتين: القوة البيانية التي هي الأساس والتي لا بد من الأخذ بها والعمل بما جاء فيها، والقوة الحسية التي فيها الردع، وهذا هو معنى قول شيخنا: (من لم تقومه الكتب قومته الكتائب)[4]

وقرن تعالى بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله.[5]

فضرورة الوقاية من الخلاف بين الأمة وحكامها, شرط مهم لاستقرارها , فالخليفة ومن دونه من ولاة الأمور يباشرون السلطة والأمر والنهي في إدارة شؤون الدولة وفق اجتهادهم وما يرونه من وجوه المصلحة للأمة، وهذا فيما عدا ما هو منصوص عليه في الشريعة، لأن ما هو منصوص عليه واجب على الخليفة ومن دونه من ولاة الأمر التقيد به إذ لا اجتهاد في مورد النص، وإنما الاجتهاد فيما لا نص فيه ومثل هذا الاجتهاد جائز لولاة الأمور. [6].

فالعلماء يحمون جناب الشريعة بالبيان وقول الحق والدعوة اليه على منهج النبي ρ , والامراء يطبقون الشريعة ويحملون الناس عليها , واي فجوة تحدث بين العلماء والامراء تؤدي الى فتح ثغرة لحدوث فتنة .

وقد صاغ هذا المعنى شعراً العالم المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله قائلاً:

رأيتُ الذنوب تميت القلوبَ ويورث الذلَّ إدمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسك عصيانُها

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكَ وأحبارُ سوء ورهبانُه[7]

---

(1) إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) , دار المعرفة – بيروت (1/ 17)

(2) شرح سنن أبي داود . عبد المحسن العباد 23/ 457

(3) الحديد:25

(4)شرح سنن أبي داود . عبد المحسن العباد (23/ 490)

(5) تفسير السعدي (ص: 842)

(6) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان: 142.

(7) شرح العقيدة الطحاوية : صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: 792هـ) ,تح: أحمد شاكر , وزارة الشؤون الإسلامية, ط1 – 1418 هـ , ص: 171

القاعدة الخامسة : لا يمتحن المخالف فيما لم يظهره :

ان امتحان المخالف فيما لم يظهره , او يعرف عنه , ليس من منهج اهل السنة والجماعة , بل هو من منهج اهل البدع والشبهات .

{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[1].

قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله ذلك إلى قوله: {تبتغون عرض الحياة الدنيا} تلك الغنيمة. قرأ ابن عباس (السلام) وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال: لحق المسلمون رجلا في غنيمة فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته][2], فنزلت:{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[3].[4]

وقال رسول الله ε : (مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)[5]. قال الحافظ ابن حجر في شرحه:' وفيه أن أمور الناس محمولة على الظاهر, فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك'[6].

ومن الامثلة التطبيقية لفهم هذه القاعدة , ما حدث في العصر الاول من فتنة الخوارج الذين وضعوا شبهات وجعلوها قواعد يمتحنون الناس عليها , كشبهة تكفيرهم لعلي ومعاوية وجعلها اصلا يمتحنون بها فيقتلون من لم يكفرهم , ولهذا كان السلف يرون امتحان المرء لإخراج مكنونات معتقداته من البدع .

حيث جاء في "سير أعلام النبلاء" أن رجلا قام إلى البخاري ، فقال : يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن ، مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه. فأعاد عليه القول ، ثم قال في الثالثة ، فالتفت إليه البخاري، وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة [7].

وروى: معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق، قال الأوزاعي في الرجل يسأل: أمؤمن أنت حقا؟

---

(1) . سورة النساء آية : 94.

(2) ت صحيح البخاري برقم (4591) وتفسير الطبري (75/9) .

(3) . سورة النساء آية : 94.

(4) . تفسير ابن كثير ت سلامة 2/ 383

(5) . رواه النسائي 8/ 105، والحديث عند البخاري (391) بزيادة: فلا تخفروا الله في ذمته.

(6) . فتح الباري لابن حجر 1/ 496

(7) . سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ) مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة . ط3 ، 1405 هـ / 1985 م . (12/ 453)

قال: إن المسألة عن ذلك بدعة، والشهادة عليه تعمق لم نكلفه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، القول فيه جدل، والمنازعة فيه حدث ... ، وذكر فصلا نافعا.[1]

ومما قاله ابن تيمية رحمه الله عن عدم امتحان الناس او عرض بعض المسائل للعوام , مما يحدث لهم فتنة : (لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة محنة وشعارا يفضلون بها بين إخوانهم وأضدادهم؛ فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله. وكذلك لا يفاتحوا فيها عوام المسلمين الذين هم في عافية وسلام عن الفتن ولكن إذا سئل الرجل عنها أو رأى من هو أهل لتعريفه ذلك ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع به)[2]

يقول د سليمان بن عبد الله في ذلك : "وإظهار المعتقدات المستترة بامتحان الناس فيها وإن كان يُعتبر . بادي الرأي . من حرب الآراء المخالفة في وكرها ، ومن كبتها قبل أن تخرج إلى الناس ، أو ما يسمى بالحرب الاستباقية إلا إنها تنطوي على مفاسد أعظم من ذلك ؛ فمنها :

دفع صاحبها إلى إظهارها والمنافحة عنها ؛ فإن الرأي حين يكون حبيس الأضلاع فإنه لا يُنسب إلى معتقِده ، لكنه إن ظهر صار منسوباً إليه ، وأصبح أكثر استعدادا لتبنيه ، والدفاع عنه . كما أنه يدفعه إلى مراغمة مخالفيه وممتحنيه بالصدع بمعتقده .

أن الممتحِن بإظهاره قول المبتدع يُكوِّن أتباعاً ، أو مستمعين لصاحب البدعة ؛ بل ومعجبين بطريقته ؛ فكان رضاه هو بعدم إعلان خواطره خيراً من امتحانه ، وإظهارها للناس ".[3]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا ان منهج العلماء هو البيان للشبهات , اما الاشخاص الذين لم يظهروا ما يعتقدوه , فالاصل تركهم وعدم التعرض لهم بالامتحان ما داموا ساكتين ؛ وان امتحان الناس من مسالك اهل الانحراف .

القاعدة السادسة : العدل والانصاف مع المخالف

ان المعاملة بالعدل والانصاف مع الاخرين , سمة من سمات اهل الحق ووصف من اوصاف الامة الوسط , يستخدمونها في مواجهتهم مع اهل الباطل , الذين يحملون شبهات فكرية و عقدية يضللون بها الناس .

والعدل والانصاف هو المنهج القرآني الواضح في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ } [4]

(1) سير أعلام النبلاء ط الرسالة 8/ 543

(2) مجموع الفتاوى 6/ 504

(3) د سليمان بن عبدالله بن ناصر الماجد البريد الشبكي : samaged@hotmail.com

(4) النساء: 135

وقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } [1] ، قال ابن كثير رحمه الله : (لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوا ..)[2]

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا "[3].

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأقرّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا. وجعلها بينه وبينهم. فبعث عبد الله ابن رواحة فخرصها عليهم. ثم قال لهم: يا معشر اليهود! أنتم أبغض الخلق إليّ. قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله. وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم. قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر. فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. قد أخذنا فاخرجوا عنا."[4].

قال ابن تيمية رحمه الله : (.. وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ؛ فيجتمع له من هذا وهذا ؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بين المال ما يكفيه لحاجته)[5]

ومن كلام العلماء في التاصيل لقضية إنصاف المخالف ولو كان مبتدعاً , وذكر الحسنات والسيئات والموازنة بينهما : ف (كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد ، أو في الشخص الواحد الأمران ، فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما ، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر .. فهذا طريق الموازنة والمعادلة ، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان)[6]

وليس ادل على الانصاف مما ذكره ابن القيم وهو يذكر بعض الشطحات وانها اوجبت فتنة طائفتين :

والطائفة الثالثة: – وهم أهل العدل والإنصاف – الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح. بل قبلوا ما يقبل. وردوا ما يرد".[1]

---

(1) . المائدة: 8

(2) . تفسير ابن كثير ت سلامة 3/ 62

(3) . أخرجه مسلم رقم (1827) في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، والنسائي 8 / 221 في آداب القضاة، باب فضل الحاكم العادل، وأخرجه أيضاً أحمد في " المسند " 2 / 160.

(4) . أخرجه الإمام أحمد في المسند 3/ 367.حسنه الالباني في ((صحيح أبي داود)) (2658).

(5) . "مجموع الفتاوى" (203/28)

(6) مجموع الفتاوى :(10 /364-366)

وقال ابن القيم رحمه الله ايضا : "من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ، فإنه يُحتمل له ما لا يُحتمل لغيره ، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره ، فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث ، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر عندما أرسل حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ إلى أُنَاسٍ من الْمُشْرِكِينَ من أَهْلِ مَكَّةَ كتابا يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فقال عُمَرُ: يا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هذا الْمُنَافِقِ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه قد شَهِدَ بَدْرًا وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قد اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ ، فقال اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)[2] ، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم لكن منع من ترتب أثره عليه ماله من المشهد العظيم لبدر ، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات ، وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف من الحسنات، فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها ، حتى انه ليختلج داعي عقوبته على إساءته وداعي شكره على إحسانه ، فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة ، كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع[3]

وذكر ابن تيمية رحمه الله أمثلة في ذلك منها النجاشي حيث لم يتمكن من الهجرة إلى دار الإسلام ولا التزم جميع شرائعه ، لعجزه عن ذلك فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت ،بل قد روى أنه لم يصل الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤدى الزكاة الشرعية ولما مات نعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا على أَخِيكُمْ)[4] ، فهو مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون وكما كانت امرأة فرعون بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر ، ثم قال: "وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعه[5]

قال شيخ الإسلام: «والكلام في الناس لا بد أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع»[6]

ولمعرفة أهمية الأصول ودورها في ترشيد الفهم قال بن تيمية:" لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية تُرَدُّ إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم"..[7]

=

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 2/ 40

(2) صحيح البخاري ج3/ص1095رقم (2845)

(3) مفتاح دار السعادة ج1/ص176-177 ، الفوائد ج1/ص195

(4) صحيح البخاري ج3/ص1407 رقم (3664) ، صحيح مسلم ج2/ص657 رقم (952)

(5) ينظر: مجموع الفتاوى ج19/ص217-218

(6) منهاج السنة النبوية 4/ 337

(7) مجموع الفتاوى 19/ 203

قال ابن القيم : " فإذا اردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق او باطل فجرده من لباس العبارة وجرد قلبك عن النفرة والميل ثم اعط النظر حقه ناظرا بعين الانصاف ولا تكن ممن ينظر في مقالة اصحابه ومن يحسن ظنه نظرا تاما بكل قلبه ثم ينظر في مقالة خصومه وممن يسيء ظنه به كنظر الشزر والملاحظة فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ والناظر بعين المحبة عكسه وما سلم من هذا الا من اراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق "[1]

ومما سبق يتبين لنا ان العدل والانصاف منهج لازم لاهل الحق في التعامل مع المخالفين , وان منهج التطرف والغلو لا يمت الى المنهج الوسط بصلة , وهو الكفيل بالتقليل من آثارها السيئة .

الخاتمة واهم النتائج

وفي ختام هذا البحث اسجل اهم النتائج التي توصلت اليها وهي كالآتي :

1. ان الحصانة العلمية والايمانية , هي من اهم القواعد التي ينبغي مراعاتها للوقاية من التطرف والغلو , فكلما اتسعت دائرة علمك ضاقت دائرة تعصبك .
2. ينبغي ان يوجه النقد للفكر المنحرف خاصة في بادئ الامر , لان نقد الذات يدعوها الى العزة بالإثم , فيدعوه ذلك الى الدفاع عن الباطل , ولهذا قيل: العقول الكبيرة تبحث عن الأفكار, والعقول المتفتحة تناقش الأحداث , والعقول الصغيرة تتطفل على شؤون الناس.
3. ان العلم بتفاوت أنواع الغلو ومراتبه , يدعو الى ان يكون اسلوب التعامل معه مختلف ,بحسب درجة الغلو , كما يعطي الطبيب العلاج للمريض بحسب مستوى المرض وخطورته .
4. اظهار تناقض الشبهات عند اهل الغلو والتطرف , يجعلهم يتشككون فيما عندهم من شبهات , مما يسهل عملية الاقلاع عنها من النفوس اذا تحولت من دائرة اليقين الى دائرة الشك والظنون
5. ان معالجة اسباب التطرف والغلو ينبغي ان تنصرف الى الاصول والاعمدة التي قام عليها , وليس على الاعراض والمظاهر والآثار , فالعلاج للأعراض بمثابة المسكنات التي لا تقطع المرض , اما علاج الاصول فهو الكفيل بإزالته من جذوره .
6. ان فتح أبواب الحوار مع اهل الغلو هو للتقليل من تأثيرهم والتحجيم من افكارهم , على ان يكون المحاور ممن يحظى بالقبول عندهم , وعنده علم يستطيع به البيان ودحض شبهاتهم .
7. ان الرفق والحلم والحكمة وسائل نبوية راقية للتقليل من حدة العداء وآثاره الضارة , وخاصة اذا كان العدو او المخالف داخل الصف المسلم , فالفكر المتطرف يقابل بالفكر المعتدل , ولا يستخدم السلاح الا لمن رفع السلاح .
8. ان تكامل موقف العلماء والامراء (السلطان والقرآن) مهم للغاية , فهي تكاد تكون معادلة يقاس بها وحدة الامة وافتراقها , فكلما كان العلماء والامراء قريبون من بعضهم عاملين مع بعضهم لإقامة العدل ورفع الظلم كلما انتشر

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (1/ 141)

الامان وقل التطرف والعكس بالعكس .

9. لا يواجه الباطل بالباطل ولكن يواجه بالحق و لا نهجر حقا قال به مبطل , فما فائدة ان نستبدل باطلا بباطل , بل الشريعة جاءت لإحقاق الحق وابطال الباطل .

10. ان اقامة العدل بين الناس ونشره , والانصاف مع المخالف , حقيق به ان ينشر الامن والاستقرار , فأينما حل العدل تبعه الامن , واينما فقد العدل فقد الامن والاستقرار , فالدولة تستقر اذا كانت كافرة مع العدل والدولة لا تقوم مع الظلم وان كانت مسلمة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الإحكام في أصول الأحكام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) , المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر , دار الآفاق الجديدة، بيروت
2. أرشيف ملتقى أهل الحديث – 3 – (79 / 155) رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com
3. إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) , دار المعرفة – بيروت
4. إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم, دار الكتب العلمية – بيروت , ط1، 1411هـ – 1991م
5. البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) ت : عبد الله بن عبد المحسن التركي : دار هجر , ط1، 1418 هـ – 1997 م , 1424هـ / 2003م .
6. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص60–61 ، دار النفائس ، عمان ، ط1 ، 1997.
7. تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) , دار الفكر ، بيرزت، لبنان . ط1، 1421هـ/ 2001م
8. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) , المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق , مؤسسة الرسالة , ط1 1420هـ –2000 م
9. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت , الطبعة: الأولى – 1419 هـ
10. التطرف في الدين: محمد بن عبد الرزاق الطبطبائي:موقع الإسلامhttp://www.al-islam.com

11. التحفة العراقية في الأعمال القلبية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ) المطبعة السلفية , القاهرة , ط2، 1399
12. الجرح والتعديل : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) , مؤسسة الرسالة (1399 هـ - 1979 م),
13. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي , المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ
14. حقائق التفسير: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري السلمي , (المتوفى: 412هـ) التحقيق: سيد عمران , دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت الطبعة: 1421هـ - 2001م .
15. ذم الكلام وأهله للهروي , أبو إسماعيل الهروي (481 هـ) المحقق: أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري : مكتبة الغرباء الأثرية , الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م .
16. الذريعة إلى مكارم الشريعة: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي . دار السلام - القاهرة , 1428 هـ - 2007 م
17. الرد على المخالف من اصول الاسلام . الدكتور بكر ابو زيد
18. الرد على المخالف - تحريف النصوص - البراءه - التحذير - تصنيف الناس - عقيده ابن ابى زيد القيروانى و عبث بعض المعاصرين بها : بكر ابو زيد , دار العاصمه , ط 1 (1414)
19. سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت : 748هـ) مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة . ط3 ، 1405 هـ / 1985 م .
20. السنن الكبرى : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ) ت: محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات , ط3، 1424 هـ - 2003 م
21. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ) , مكتبة المعارف , الرياض ,ط1 ,
22. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
23. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان .
24. الدكتور سليمان بن عبدالله بن ناصر الماجد البريد الشبكي :samaged@hotmail.com الصفحة على الشبكة : www.salmajed.com
25. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)

تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر , ط2، 1395 هـ - 1975 م

26. شرح العقيدة الطحاوية : صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: 792هـ) ت: أحمد شاكر , وزارة الشؤون الإسلامية , ط1 - 1418 هـ

27. شرح سنن أبي داود : عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر , مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

28. صحيح سنن أبي داود : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420 هـ) مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت , الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م

29. الصحوة الإسلامية بين المراهقة إلى الرشد : د يوسف القرضاوي , دار الشروق , ط3 (2008)

30. طرائف ونوادر من عيون التراث العربي . دار النفائس . بيروت . 1987 . ص46. عن كتاب : في قفص الاتهام للدكتور علي الحمادي . دار ابن حزم . ط1 (1420هـ . 1999م) . ص47.

31. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي , دار المعرفة – بيروت، 1379 , رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي , قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب , عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

32. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) , دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت , الطبعة: الأولى - 1414 هـ

33. الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) , دار الكتب العلمية – بيروت , الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م

34. في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم , دار الشروق . القاهرة

35. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة : محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي . دار الكتب العلمية – بيروت – 1426هـ -2005 م . الطبعة : الأولى تحقيق : أحمد عناية

36. الموافقات : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ),المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان , دار ابن عفان , الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م

37. موضح أوهام الجمع والتفريق : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) . المحقق: د. عبد المعطي أمين قلعجي , دار المعرفة – بيروت . ط1، 1407هـ .

38. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة , مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب , الطبعة: الثانية، 1406 - 1986

39. منهاج السنة النبوية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس . تحقيق: د. محمد رشاد سالم الناشر: مؤسسة قرطبة . الطبعة الأولى، 1406

40. المنقذ من الضلال ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود دار الكتب الحديثة، مصر .

41. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ),المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم , مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية , عام النشر: 1416هـ/1995م

42. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي , دار الكتاب العربي – بيروت , الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م

43. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) ت : محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء التراث العربي – بيروت

44. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 هـ - 751 هـ) المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد – رحمه الله –) راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإِصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير , دار عالم الفوائد، مكة المكرمة , الطبعة: الأولى، 1432 هـ

45. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر , دار الحديث – القاهرة , الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م